بين الناس
أحمد حافظ

أحمد حافظ – بين الناس

أحمد خالد حافظ ، من مواليد ١٩٩٦ .
محافظة الجيزة .
طالب في كلية تجارة .
للتواصل :

Facebook : Ahmed Khaled Hafez

الإهداء ...

إلى من يتابعون العالم من وراء جدرانهم، ولا يخرجون إليه ليحكوا قصصهم .

الباقون ليلًا

دفعني بحثي الطويل عن عمل إلى قبول تلك الوظيفة التي كانت فرد أمن في إحدى شركات الأمن الخاصة التي تحرس المحلات والعقارات والمستشفيات الكبيرة. تم توزيعي أنا وثلاثة من زملائي على حراسة أحد محلات السوبر ماركت الكبيرة في القاهرة التي كان يوجد منها فروع أخرى على مستوى الجمهورية ، تم توزيعي أنا وزملائي في العمل بنظام الورديات ، الآن تم تحديد عملي في موعد ثابت وكان من الثامنة مساءً إلى السابعة صباحًا ، أجلس أراقب الداخل والخارج من الزبائن الذين ينحصرون في علية القوم ، أولئك الذين يملؤون سيارتهم بالمشتريات ، ويجلبون الخدم معهم لحملها .

بداية من الساعة الثانية عشرة صباحًا يقل الزبائن تدريجيًا إلى أن تصل الساعة إلى الواحدة فيغلق باب السوبر ماركت الذي يمتلئ بما تشتهي الأنفس ، وإيراد يوم واحد منه يكفي لإطعام العشوائيات بالكامل . أجلس على كرسي يؤذي ظهري أكثر مما يريحه ، أتابع الناس ، وكنت دائمًا أتساءَل عن الفئة التي تبقى في الشارع لهذا الوقت ، أراقب وجوههم عن كثب ،

وأحتسي الشاي الذي أعطاني إياه حجازي عامل الجراج المقابل للسوبر ماركت ، الذي أبادله السجائر وبعض أنواع الطعام أحيانًا .

يبدأ الناس في المرور من أمامي متتابعين كدخول الأبطال على المسرح لكنها مسرحية بلا بطل ... يدخل الأول ، عاطل عائد إلى بيته بعدما انتهى من تدخين الشيشة وشرب كل مشروبات القهوة والانتصار على أصدقائه في الشطرنج ليبرهن لهم على ذكائه ، وعلى حسب تعبيره أنه خسارة في البلد ، وأن الحظ العاسر فقط هو الذي قاده إلى البطالة .. والثاني ، رجل عائد إلى بيته بعدما انتهى من عمله بعد الظهر تحسينًا لدخله لشكـــاوى زوجته المتكررة من المصـــاريف وكثـــرة مطالب أولاده ، ومماطلة الحكومة في تنفيذ قرار الحد الأدنى للأجور .
وقتها يأخذ العرض استراحة ، لاحظت فيها رجلًا على الجانب الآخر بجوار الجراج ينظر بشغف إلى السوبر ماركت عن كثب ويمصص شفتيه ويمسك بطنه ويمشي ذهابًا وإيابًا من الجوع ، عرفت ذلك عندما لاحظته يحدق في الساندويتش الذي أعدَّته والدتي لي حتى لا أتاخر عن العمل ، فخصم يوم من المرتب سيقضي على حلمي الذي أحلم به منذ خمسة عشر عامًا وهو شراء سيارة شيفورليه أحدث موديل .

قضمت من الساندويتش ولاحظت أن مرِّيئِي لم يرِد أن تدخل تلك القطعة في جوفي ، فكدت أن أموت من الحشرجة ، فشربت من زجاجة الماء بجانبي وقمت من مكاني ، وأخذت الساندويتش ووضعته في الكيس ثم ذهبت إلى الرجل وأعطيته إياه ، فبتسم إبتسامة عاجز ودعا لي ، ورحل يلتهم الساندويتش .

أجلس على الكرسي حتى الصباح مستمعًا إلى إذاعة القرآن الكريم ، وإلى أن يأتي الصباح وأفطر الفول والبصل والفلفل الحار مع عم رمضان - بواب عمارة في أحد الشوارع المجاورة ، يبادرني حجازي في تلك اللحظة :

- فين الكوباية يا عم ؟

أبتسم له :

- هجبهالك بكرا .

لأخرج من الشارع بعدما انتهى وقت عملي ، وقد عرفت من هم .... الباقون ليلًا !!

♣♣♣

خلف الشبابيك

كان الأستاذ عبد القادر محل احترام وتقدير بين جيرانه وزملائه . رجل في بداية الخمسينيات ، موظف في وزارة الزراعة ، متزوج من السيدة هنية موظفة سابقة سوت معاشها العام الماضي لمرض أصاب قلبها ونصح الأطباء لها بألا تبذل مجهودًا .
ليس لديهما أولاد ، فالسيدة هنية امراة عاقر ، عندما علمت بذلك بكت وحزنت ، فواساها الأستاذ عبد القادر وقبَّلها وأكد لها أنه قضاء الله وإرادته .

كان لهم جار في الشقة المقابلة ، اسمه الأستاذ ميلاد ، عامل في أحد المصانع ، لديه ابن اسمه مينا ، توفيت زوجته منذ كان ابنه صغيرًا ، وكان علاقة الأستاذ ميلاد بالأستاذ عبد القادر جيدة جدًا ، فهما جيران منذ ما يقارب عشر سنوات .

كان الأستاذ ميلاد يترك ابنه مع السيدة هنية أحيانًا ، فهو يؤنسها وتجلس معه وتلاعبه وتحضر له الطعام ، كانت تنظر له بأسى وحزن ، لكنها تحمد الله على نعمتـه .

في أحد الأيام مات الأستاذ ميلاد أثناء عمله في المصنع وأصبح مينا بلا أب وأم ، وهو لم يقارب الخمس سنوات . لم يكن للاستاذ ميلاد أقارب أو أهل ، فأشارت السيدة هنية على الأستاذ عبد القادر بأن يبقى الطفل معهم ، وبعد تفكير وتردد وافق الأستاذ عبد القادر لأنه يعلم أن السيدة هنية محرومة من نعمة الأمومة .

ظل مينا مع الأستاذ عبد القادر ، يأكل ويشرب وينام يعتبرونه ابنًا لهم ، ولكن في أحد الأيام كان الأستاذ عبد القادر يصلي العشاء في الجامع وبعد الصلاة ناده إمام المسجد :

- بقول لك إيه يا أستاذ عبد القادر .. هو الواد المسيحي ده لسه عندكم ؟
- أيوه لسه عندنا .
- يا راجل بقى ده اسمه كلام ، ده حتى حرام !
- حرام إيه يا شيخ سيد ، ده طفل صغير .
- بقول لك الناس متضايقة لأنك لسه مخلي الواد ده عندك .. أنا قلت لك .

قام الأستاذ عبد القادر عائدًا إلى البيت يفكر ، وفي أحد الأيام دقَّ جرس الباب ففتحه ليجد إمام المسجد مع بعض من أهل المنطقة ، حيَّاهم وأجلسهم في الصالون وقدم لهم الشاي .

بدأ إمام المسجد بالكلام :

- شوف يا أستاذ عبد القادر .. أنت راجل تقي ومحترم وبتاع ربنا ، واحنا جينا كده علشان نقول لك تمشي الواد الصغير ده من بيتك .
- أمشيه من بيتي يعنى إيه ؟ أنتم مالكم ؟! ده بيتي وأنا حر ، وبعدين ده طفل ما عندوش خمس سنين يعني هيبقى محروم من أب وأم ، يا ناس حرام عليكم !

في تلك الأثناء يقتحم الحديث أحد الجالسين :

- الحرام إنك تخلي الواد ده عندك ، شوف .. يا تمشي الواد ده أحسن لك ، يا نمشيه بالعافية .

يقف الأستاذ عبد القادر غاضبًا :

- أنت بتهددني في بيتي !!

ويفتح باب الشقة غاضبًا :

- اتفضلوا حضارتكم من غير مطرود .

يخرجون وقبل أن يغلق الباب :

- مشي الواد أحسن يا أستاذ عبد القادر .

أغلق الباب ، ونظر إلى زوجته التي بدا من وجهها أنها سمعت ما جرى .

بعد يومين من التفكير قرر الأستاذ عبد القادر أن يذهب بالولد إلى الكنيسة ، فهي أفضل له ، فهو وزوجته كبار في السن ، ولن يتحملا الأذى .
عندما أبلغ زوجته احتدت وبكت وعارضت ، ثم وافقت بصعوبة بالغة بعدما أكد أنهم من الممكن أن ياخذوا الولد بالقوة .

استيقظ الأستاذ وزوجته والولد مبكرًا ، ناولت الزوجة الولد الفطور وألبسته بعض الملابس :

- هو أنا هروح فين يا ماما ؟
- هتروح مع عمو عبد القادر يا حبيبي .
- وأنتي مش هتيجي معانا ؟

وقتها نزلت الدموع من عينيها وقامت بتقبيله ، أخذه الأستاذ عبد القادر من يده وخرج ، والزوجة تراقبهم من الشرفة وقلبها ينفطر على الولد الصغير .

ذهب الأستاذ عبد القادر إلى الكنيسة وأجلس مينا ، وذهب للكلام مع القسيس ثم انحنى على ركبتيه :

- بص يا مينا ، أنت هتقعد هنا وأنا هبقى آجي لك .
- ليه يا عمو عبد القادر ، أنا زعلتك في حاجة ؟
- لا يا حبيبي ، أنت ما زعلتنيش .. بس هنا أحسن لك ، هيجيبوا لك لعب ويعلموك .

أتى القسيس في ذلك الوقت وأخذ مينا وعيناه كفيلتان بأن تقول كل شيء ، نظر إليه الأستاذ عبد القادر والحزن يملأه ، ونزلت منه دمعة .

خرج من الكنيسة مطأطئًا رأسه ، وقبل أن ينحرف يسارًا ليدخل من باب العمارة لمح إمام المسجد ينظر إليه ويبتسم ، ورفع رأسه ليجد بعض أهل المنطقة ينظرون إليه من الشبابيك التي خلف كل واحد منها قصص يجب أن تحكى ....